والمعارضات التي عارض بها النصوص، وفي بني آدم من يصوب رأي إبليس وقياسه، ويقول الصواب معه، ولهم في ذلك تصانيف وكان بشار بن برد الأعمى الشاعر على هذا المذهب، يقول في قصيدته الرائية:

الأرض مظلمة سوداء مقتمة والنار معبودة مذ كانت النار

ولما علم الشيخ أنه قد أصيب من معارضة الوحي بالعقل، وعلم أنه لا شيء أبلغ في مناقضة الوحي والشرع، وإبطاله من معارضته بالعقول، أوحى إلى تلامذته وإخوانه من الشبهات الخيالية ما يعارض به الوحي، وأوهم أصحابه وتلاميذه أنها قواطع عقلية، وقال: إن قدمتم الوحي عليها فسـدت عقولـكم، قـــال تعـــالى: (**وإن الشـــياطين ليوحـــون إلى أوليـــائهم ليجـــادلوكم وإن أطعتمـــوهم إنكم لمشركون**).

ومن المعلوم أن وحيهم إنما هو شبه عقلية، وقال تعالى: (**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون. ولتصغى إليه أفئدة الذي لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون. أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منـزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين. وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم. وإن تطع**

أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرضون. إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

الوجه الثالث والستون: أن العقل الذي عارض به هؤلاء السمع هو النفي، والذي دل عليه السمع هو الإثبات، على عرشه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ومجيئه وإتيانه، وإثبات وجهه الأعلى، ويديه اللتين كلتاهما يمين وغير ذلك، والعقل عندهم دل على نفي ذلك كله، فالمعارضة التي ادعوها هي معارضة بين النفي والإثبات، فالرسل جاءوا بالإثبات المفصل للأسماء والصفات والأفعال، فجاء أرباب هذا العقل بالنفي المفصل لها، وادعوا التعارض بين دليل هذا الإثبات ودليل النفي، ثم قدموا دليل النفي.

فيقال الكلام معكم في مقامين:

أحدهما: أن العقل لم يدل على ثبوتها.

والثاني: أنه دل على انتفائها، فإن أردتم بدلالة العقل المقام الأول، فنفيها خطأ؛ فإنه لو نفي كل ما لم يدل عليه عقل أو حس نفيت أكثر الموجودات التي لا ندركها بعقولنا ولا حواسنا، وهذا هو حاصل ما عند القوم عند التحقيق، ومن تدبر أدلتهم حق التدبر، علم أنه ليس فيها دليل واحد يدل على النفي، ومعلوم أن الشيء لا ينفى لانتفاء دليل يدل عليه، وإن انتفى العلم به، فنفي العلم لا يستلزم نفي المعلوم، فكيف والعقل الصريح قد دل على ثبوتها.

وإن أردتم الثاني، وهو: أن العقل دل على انتفائها، فيقال: العقل إنما يدل على نفي الشيء إذا

علم ثبوت نقيضه. فيعلم حينئذ أن النقيض الآخر منتف، فأين في العقل المقطوع بحكمه، أو المظنون ما يدل على نقيض ما أخبرت به الرسل، بوجه من وجوه الأدلة الصحيحة؟ فالمسلمون يقولون: قد دل العقل والوحي معاً على إثبات علم الرب تعالى آمراً ناهياً، وعلى كونه فوق العالم كله وعلى كونه يفعل بقدرته ومشيئته وعلى أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويحب ويبغض، فقد شهد بذلك العقل والنقل، أما النقل فلا يمكنكم المكابرة فيه، وأما العقل فلأن ذات الرب أكمل من كل ذات على الإطلاق، بل ليس الكمال المطلق التام من كل وجه إلا له وحده، فيستحيل وصفه بما يضاد كماله، وكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فهو صفة كمال ثبوتها له أكمل من نفيها عنه، وقد اتفقت الأمم على أن الله سبحانه موصوف بالكمال، منـزه عن أضداده.

الوجه الرابع والستون: أن كل من عارض بين الوحي والعقل ورد نصوص الكتاب والسنة بالرأي الذي يسميه عقلاً لابد أن ينقض تلك النصوص المخالفة لعقله ويعاديها، ويود أنها لم تكن جاءت، وإذا سمعها وجد لها على قلبه من الثقل والكراهة بحسب حاله، واشمأز لها قلبه، والله يعلم ذلك من قلوبهم وهم يعلمونه أيضاً، حتى حمل جهماً الإنكار والبغض لقوله: (**الرحمن على العرش استوى**) على أن قال: لو أمكنني كشطها من المصحف كشطتها وحمل آخر بغض قوله: (**وكلم اللهُ موسى تكليماً**) على أن حرّفها وقرأها بالنصب وكلم اللهَ موسى تكليماً أي أن موسى هو الذي كلم الله وخاطبه والله لم يكلمه، فقال له أبو عمرو ابن

العلاء فكيف تصنع بقوله: (**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه**) فبهت المعطل.

الوجه الخامس والستون: وهو قوله تعالى: (**أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً**). وهذا يبين أن الحكم بين الناس هو الله عز وجل وحده، بما أنزله من الكتاب المفصل كما قال في الآية الأخرى: (**وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله**). وقال تعالى: (**كان الناس أمةً واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه**) وقال تعالى: (**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**). وقال: (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**).

الوجه السادس والستون: أنه سبحانه أخبر أن كل حكم خالف حكمه الذي أنزله على رسوله فهو من أحكام الهوى، لا من أحكام العقل، وهو من أحكام الجاهلية، لا من حكم العلم والهدى، فقال تعالى: (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون**).

فأخبر سبحانه وتعالى: أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى، الذي يضل عن سبيله وليس وراء

حكمه إلا حكم الجاهليـــــــة، وكل هـــــــذه الآراء والمعقولات المخالفة لما جـاء به الرسـول، هي من قضايا الهـوى وأحكـام الجاهليـة، وإن سـماها أربابها بـالقواطع العقليـة، والـبراهين اليقينيـة، كتسـمية المشـركين أوثـانهم وأصـنامهم آلهـة، وتسـمية المنافقين السعي في الأرض بالفسـاد وصد القلـوب عن الإيمان إصلاحاً وإحساناً وتوفيقاً.

الوجه السابع والسـتون: أن هـؤلاء المعارضـين لنصـوص الـوحي بعقـولهم ليس عنـدهم علم، ولا هدى، ولا كتاب مبين، فمعارضـتهم باطلـة، وهم فيها أتبـاع كل (**شـيطانٍ مريـد. كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير**) .

فهـذا حـال كل من عـارض آيـات الله بمعقولـه، ليس عنده إلا الجهل والضـلال، ورتب سـبحانه هـذه الأمور الثلاثة أحسن تـرتيب فبـدأ بـالأعم وهو العلم، وأخـبر أنه لا علم عند المعـارض لآياته بعقلـه، ثم انتقل منه إلى ما هو أخص، وهو الهـدى، ثم انتقل إلى ما هو أخص، وهو الكتـاب المـبين، فـإن العلم أعم مما يدرك بالعقل والسمع والفطرة، وأخص منه الهدى الذي لا يدرك إلا من جهة الرسل، وأخص منه الكتاب الذي أنزله الله على رسوله، فـإن الهـدى قد يكون كتاباً، وقد يكون سـنة وهـذه الثلاثة منتفية عن هـؤلاء قطعـاً، أما الكتـاب والهـدى المـأخوذ عن الرسـل، فقد قـالوا: إنه لا يفيد علمـاً ولا يقينـاً، والمعقول يعارضه، فقد أقروا أنهم ليس معهم كتاب ولا سـنة، وبقي العلم فهم يدعونـه، والله تعـالى قد نفـاه عنهم، وقد قـام البرهـان والـدليل العقلي المسـتلزم لمدلولـه، على صـدق الـرب في خـبره، فعلم أن هذا الذي عارضوا به الـوحي، ليس بعلم، إذ

لو كـان علمـاً لبطل دليل العقل الـدال على صـدق الرب تعالى في خبره، فهـذا يكفي في العلم بفسـاد كـون ما عارضـوا به علمـاً، فكيف وقد قـام الـدليل العقلي الصـــحيح المقـــدمات على فســـاد تلك المعارضـة، وأنها تخص الجهل المـركب؟ فكيف وقد اتفق على فســـاد تلك المعارضة العقل والنقـــل؟ ونحن نطـالب هـؤلاء المعارضـين بواحـدة من ثلاث: إما كتاب منـزل، أو أثارة من علم يؤثر عن نــبي من الأنبيــاء، أو معقــول صــحيح المقــدمات، وقد اتفق العقلاء على صحة مقدماته .

وهم يعلمون والله شهيد عليهم، بأنهم عـاجزون عن هـذا وهـذا، أفنــترك ما علمنـاه من كتـاب ربنـا، وسـنة نبينـا، وما نـزل به جبريل من رب العـالمين، على قلب رسوله الأمين، بلسان عربي مبين، لوحي الشياطين، وشبه الملحدين، وتأويلات المعطلين؟

الوجه الثامن والستون: أن هذه المعقولات التي عارضوا بها الوحي لها معقولات تعارضـها هي أقـوى منها ومقـدماتها أصح من مقـدماتها فيجب تقـديمها عليها. لو قدر تعارضهما، ولا يمكن هـؤلاء أن يـدفعوا كـون النصـوص من جـانب هـذه المعقـولات، وحينئذ فمعقول تشهد له النصـوص أولى بالصـحة والقبـول من معقول تدفعه النصوص، فنحن نـدفع معقـولاتهم بهذه المعقولات تارة وبالنصوص تارة وبهما تارة، ولا يمكنهم القــدح في هــذه المعقــولات إلا بمقــدمات يردها النص وهذا العقل، فكيف ترد هذه المعقــولات والنصوص بتلك، وهذا قاطع لمن تدبره؟

الوجه التاسع والســتون: أن يقــال لمن جــوّز مجيء الرسول بما يخالف صريح العقل ما تقول إذا سمعت كلامه قبل أن تعلم هل في العقل ما يخالفه

أم لا؟ هل تبـــادر إلى رده وإنكـــاره؟ أم إلى قبوله واعتقــاده؟ أم تتوقف فيه ولا تصـــدقه ولا تكذبه ولا تقبله ولا تـرده؟ أم تعلق تصـديقه والإقـرار به على الشـــرط، وتقـــول أنا أعتقد موجبه إن لم يكن في العقل ما يـرده؟ فلابد لك من واحد من هـذه الأمـور الأربعـة، فـالأول والثـالث والرابع منـاقض للإيمـان بالرسول مناقضة صريحة والثاني لا سـبيل لك إليـه، لأنك قد جوزت أن يكون في صريح العقل ما يناقض ما أخـبر بـه، فكيف تجـزم مع ذلك بصـحته، فالقسم الإيمـاني قد سـددت طريقه على نفسك والأقسـام الثلاثة مسـتلزمة لعـدم الإيمـان، وهـذا إنما ينشأ من تجـويز أن يكـون في العقل الصـريح ما ينـاقض ما أخبر به.

الوجه السـبعون: أن كل من لم يقر بما جـاء به الرسـول إلا بعد أن يقـوم على صـحته عنـده دليل منفصل من عقل، أو كشـف، أو منـام، أو إلهـام، لم يكن مؤمناً به قطعاً، وكان من جنس الذين قال الله فيهم: (**وإذا جاءتهم آية قالوا لن نـؤمن حـتى نــؤتي مثل ما أوتى رسل الله**) بل قد يكـــون هؤلاء خيراً منهم من وجه، فإنهم علقوا الإيمـان بـأن يؤتـوا سـمعاً مثل ما أوتيه الرسـل، وهـؤلاء علقـوا الإيمان على قيام دليل عقلي على صـحة ما أخـبروا بـه، وإذا كـان من فعل هـذا ليس بمـؤمن بالرسل فكيف من عـــارض ما جـــاءوا به بمعقوله ثم قدمه عليه ؟!

الوجه الحادي السبعون : أن هـؤلاء المعارضـين للوحي بآرائهم جعلوا كلام الله ورسـوله من الطـرق الضـــعيفة المزيفة الـــتي لا يتمسك فيها في العلم واليقين، ولعلك تقـــــول: إنا حكينا ذلك عنهم بلازم

قـولهم، فاسـمع حكاية ألفـاظهم، قـال الـرازي في نهايته: في تزييف الطرق الضعيفة وهي أربع، فـذكر نفي الشـيء لانتفـاء دليلـه، وذكر القيـاس، وذكر الإلزامـات، ثم قـال: ((والرابع هو التمسك بالسمعيات)) .

وهـذا تصـريح بـأن التمسك بكلام الله ورسـوله من الطرق الضعيفة المزيفـة، وأخذ في تقرير ذلـك، فقـال: ((المطـالب على أقسـام ثلاثـة: منهـا: ما يستحيل حصول العلم بها بواسطة السـمع. ومنها ما يسـتحيل حصـول العلم بها إلا من السـمع. ومنها ما يصح حصـول العلم بها من السـمع تـارة ومن العقل أخرى .

قـال: ((أما القسم الأول فكل ما يتوقف العلم بصحة السمع على العلم بصحته، اسـتحال تصـحيحه بالسـمع مثل العلم بوجـود الصـانع، وكونه مختـاراً وعالماً بكل المعلومات.. وصدق الرسول)).

قـال: ((وأما القسم الثـاني: فهو تـرجيح أحد طرفي الممكن على الآخر إذا لم يجده الإنسـان من نفسه، ولم يدركه بشـيء من حواسـه، فـإنّ جلـوس غـراب على قلة جبل قـاف، إذا كـان جـائز الوجـود والعدم مطلقـاً، وليس هنـاك ما يقتضي وجـوب أحد طرفيه أصـلاً، وهو غـائب عن الحس والنفس، استحال العلم بوجوده إلا من قول الصادق .

وأما القسم الثـالث: وهو معرفة وجـوب الواجبـات أو إمكـان الممكنـات أو اسـتحالة المستحيلات التي لا يتوقف العلم بصحة السمع على العلم بوجوبها وإمكانها واسـتحالتها، مثـل: مسـألة الرؤية، والصفات، الوحدانية وغيرها)) ثم عدد أمثلة .

ثم قال : «إذا عرفت ذلك فنقــول: أما أن الأدلة السمعية لا يجوز اسـتعمالها في الأصـول في القسم الأول، فهو ظـــــاهر وإلا وقع الــــدور، وأما أنه يجب استعمالها في القسم الثاني، فهو ظاهر كما سلف.

وأما القسم الثـالث ففي جـواز اسـتعمال الأدلة السمعية فيه إشكال، وذلك لأنا لو قدرنا قيام الدليل القاطع العقلي على خلاف ما أشعر به ظاهر الـدليل الســــــمعي، فلا خلاف بين أهل التحقيق بأنه يجب تأويل الــدليل الســمعي، لأنه إذا لم يكن الجمع بين ظاهر النقــل، وبين مقتضى الـدليل العقلي، فإما أن نكذب بالعقل، وإما أن يأول النقل، فإن كـذبنا العقل مع أن النقل لا يمكن إثباته إلا بالعقل، فــإن الطريق إلى إثبـات الصـانع ومعرفة النبـوة ليس إلا بالعقـل، فحينئذ تكـــون صـــحة النقل متفرعة على ما يجـــوز فساده وبطلانه، فإذاً لا يكون العقل مقطوع الصحة، فــإذاً تصـحيح النقل بــرد العقل يتضــمن القــدح في النقل وما أدى ثبوته إلى انتفائه كـــان بـــاطلاً وتعين تأويل النقل.

فـــإذاً الــدليل الســمعي لا يفيد اليقين بوجـــود مدلوله إلا بشرط أن لا يوجد دليل عقلي على خلاف ظـــاهره فحينئـــذٍ لا يكـــون الـــدليل النقلي مفيـــداً للمطلوب إلا إذا أثبتنا أنه ليس في العقل ما يقتضي خلاف ظــاهره، ولا طريق لنا إلى إثبــات ذلك إلا من وجهين، إما أن نقيم دلالة عقلية على صحة ما أشعر به ظـاهر الـدليل النقلي، وحينئـذٍ يصـير الاسـتدلال بالنقل فضلاً غير محتاج إليه .

وإما بـــــأن نزيف أدلة المنكـــــرين لما دل عليه ظـاهر النقـل، وذلك ضـعيف لما بينا من أنه لا يلـزم من فساد ما ذكروه أن لا يكون هناك معارض أصــلاً،

إلا أن نقـــول: إنه لا دليل على هـــذه المعارضـــات، فوجب نفيه، ولو كنا زيفنا هذه الطريقة يعني انتفــاء الشـــيء لانتفـــاء دليله أو نقيم دلالة قاطعة على أن المقدمة الفلانية غـــــير معارضة لهـــــذا النص ولا المقدمة الأخــرى، وحينئذ نحتــاج إلى إقامة الــدليل على أن كل واحدة من هذه المقدمات الــتي لا نهاية لها غير معارضة لهذا الظاهر.

فثبت أنه لا يمكن حصـــــول اليقين لعـــــدم ما يقتضي خلاف الدليل النقلي، وثبت أن الدليل النقلي تتوقف إفادته لليقين على ذلك، فــإذاً الــدليل النقلي تتوقف إفادته اليقين على مقدمة غــير يقينيــة، وهي عـــدم دليل عقلي، وكل ما يبتــنى صــحته على ما لا يكــون يقينــاً لا يكــون هو أيضــاً يقينــاً، فثبت أن ذلك الدليل النقلي من هذا القسم لا يكون مفيداً لليقين»

قــال: «وهــذا بخلاف الأدلة العقليــة، فإنها مركبة من مقــــدمات لا يكتفى فيها بـــأن لا يعلم بالبديهة لزومها مما علم صحته بالبديهــة، ومــتى كــان كــذلك استحال أن يوجد ما يعارضه لاستحالة التعــارض في العلوم البديهية».

ثم قال «فــإن قيل : إن الله ســبحانه لما أســمع المكلف الكلام الذي يشعر ظــاهره بشــيء فلو كــان في العقل ما يـــدل على بطلان ذلك الشـــيء وجب عليه سبحانه أن يخطر ببال المكلف ذلك الدليل وإلا كان ذلك تلبيساً من الله تعالى وإنه غير جائز.

قلنا: هذا بنــاء على قاعــدة الحسن والقبح، وأنه يجب على الله سبحانه شيء ونحن لا نقول بذلك ثم إن ســـلمنا ذلـــك، فلم قلتم: إنه يجب على الله أن يخطر ببال المكلف ذلك الدليل العقلي؟، وبيانــه، أن الله تعالى إنما يكون ملبساً على المكلف لو أسمعه

كلاماً يمتنع عقلاً أن يريد به إلا ما أشعر به ظـاهره، وليس الأمر كـذلك، لأن المكلف إذا سـمع ذلك الظاهر فبتقدير أن يكـون الأمر كـذلك لم يكن مـراد الله من ذلك الكلام ما أشعر به الظـاهر، فعلى هـذا إذا أسـمع الله تعـالى المكلف ذلك الكلام، فلو قطع المكلف بحمله على ظاهره مع قيام الاحتمـال الـذي ذكرنا كان ذلك التقدير تقصيراً واقعـاً من المكلف لا من قبل الله تعالى حيث قطع لا في موضوع القطع، فثبت أنه لا يلـزم من عـدم إخطـار الله تعـالى ببـال المكلف ذلك الـدليل العقلي المعـارض للـدليل السمعي أن يكون ملبساً».

قال: «فخرج مما ذكرنا أن الأدلة النقلية لا يجوز التمسك بها في بـاب المسـائل العقليـة.. نعم يجـوز التمسك بها في المسائل النقلية تـارة لإفـادة اليقين كما في مسألة الإجماع وخـبر الواحـد، وتـارة لإفـادة الظن كما في الأحكام الشرعية» انتهى .

فليتـدبر المـؤمن هـذا الكلام ولـيرد أوله على آخره وآخره على أوله، ليتـبين له ما ذكرنا عنهم من العـزل التـام للقـرآن والسـنة عن أن يسـتفاد منهما علم أو يقين في باب معرفة الله، وما يجب لـه، وما يمتنع عليه، وأنه لا يجوز أن يحتج بكلام الله ورسوله في شيء من هـذه المسـائل وأن الله تعـالى يجـوز عليه التلبيس والتـدليس على الخلق وتـوريطهم في طرق الضلال وتعريضـهم لاعتقـاد الباطل والمحـال، وأن العبـاد مقصـرون غاية التقصـير إذا حملـوا كلام الله ورسـوله على حقيقتـه، وقطعـوا بمضـمون ما أخـبر به حيث لم يشـكوا في ذلـك، إذ قد يكـون في العقل ما يعارضه ويناقضـه، فـإن غاية ما يمكن أن يحج بكلام الله ورسـوله عليه من الجزئيـات ما كـان

مثل الإخبـار بـأن على قلة جبل قـاف غرابـاً صـنعته كيت وكيت، أو على مسـألة الإجمـاع وخـبر الواحـد، وأن مقـدمات أدلة القـرآن والسـنة غـير معلومة ولا متيقنة الصــحة، ومقــدمات أدلة أرســطو صــاحب المنطق والفـــارابي وابن ســـينا وإخـــوانهم قطعية معلومة الصـحة، وأنه لا طريق لنا إلى العلم بصـحة الأدلة الســمعية في بــاب الإيمــان بالله وأســمائه وصفاته البتة لتوقفها على انتفاء ما لا طريق لنا إلى العلم بانتفائه وأن الاستدلال بكلام الله ورسـوله في ذلك فَضْـلةٍ لا يحتـاج إليهـا، بل هو مسـتغنىً عنه إذا كان موافقاً للعقل .

فتأمل هـذا البنيـان الـذي بنـوه، والأصل الـذي أصــلوه، هل في قواعد الإلحــاد أعظم هــدماً منه لقواعد الــــدين، وأشد مناقضة منه لـــــوحي رب العـالمين؟! وبطلان هـذا الأصل معلـوم بالاضـطرار من دين جميع الرسل وعند جميع أهل الملل.

الوجه الثــاني والســبعون: أن الــدين تصــديق الرسـول فيما أخـبر، وطاعته فيما أمـر، وكل منهما نوعان: مطلق ومقيد.

فالمقيد مثل أن يقول: لا أصدقه إلا فيما علمت صــحته بعقلي، أو فيما يخــالف عقلي، أو وافقه فيه شيخي وإمامي وأصحاب مذهبي، والمقيد من طاعة الأمر أن يطيعه فيما وافق حظه وهــواه، فــإن جــاء أمره بخلاف ذلك قدم حظه وهواه عليـه، فهـذا غـير مطيع للرسول في الحقيقة، بل هو متبع لهــواه، كما أن ذاك غــير مصــدق له في الحقيقــة، بل إن وافق قوله عقله أو قــول شـيخه وإمامه ومتبوعه قبلـه، لا لكونه قاله، كما أن مطيعه فيما وافق هـواه، إنما هو متبع لما يحبه ويهواه، فإن جاء الأمر بما يهواه فعله،

وإلا لم يفعله، وهذا حال أكثر الناس، وأحسن أحوال هؤلاء أن يكونـوا من الـذين قـال الله فيهم: (**قالت الأعــراب آمنا قل لم تؤمنــوا ولكن قولــوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلــوبكم وإن تطيعـوا الله ورسـوله لا يلتكم من أعمـالكم شـيئاً إن الله غفـور رحيم**). ثم ذكر وصف أهل الإيمــان فقــال: (**إنما المؤمنـون الـذين آمنـوا بالله ورســـوله ثم لم يرتـــابوا وجاهـــدوا بـأموالهم وأنفسـهم في سـبيل الله أولئك هم الصــادقون**). فالتصـــديق والطاعة لا يكـــون إيماناً حتى يكون مطلقاً، فـإذا تقيد فـأعلى أحواله – إن سلم من الشك- أن يكون إسلاماً ويكون صـاحبه من عوام المسلمين لا من خواص المؤمنين.

الوجه الثــالث والســبعون: أنه لو كــان ظــاهر الكتاب مخالفاً لصـريح المعقـول لكـان في الصـدور أعظم حـــرج منه وضـــيق، وهـــذا خلاف المشـــهود بالباطن لكل ذي عقل سـليم، فإنه كلما كـان الرجل أتم عقلاً كان الحرج بالكتاب أبعد منـه، قـال تعـالى: لرســوله: (**آلمص. كتــاب أنــزل إليك فلا يكن في صـدرك حـرج منه**) والله تعـالى رفع الحـرج عن الصـدور بكتابـه، وكـانت قبل إنـزال الكتـاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه ارتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق على من لم يؤمن به كما قـــال تعـــالى: (**فمن يـــرد الله أن يهديه يشـرح صـدره للإسـلام ومن يـرد أن يضـله يجعل صدره ضيقاً حرجاً**) ومن آمن به من وجه دون وجه ارتفع عنه الحرج والضيق من الوجه الــذي آمن به دون ذلك الوجه، فمن أقر أنه منـزل من عند الله أنزله على رســـوله، ولم يقر بأنه كلامه الـــذي

تكلم به، بل جعله مخلوقاً من جملة مخلوقاته، كـان في صدره من الضيق والحرج ما يناسب ذلـك، ومن أقر بأنه تكلم بشـطره وهو المعـاني دون شـطره الآخر وهو حروفه كان في صدره من الحـرج منه ما يناسب ذلـك، ومن زعم أنه غـير كـاف في معرفة الحق، وأن العباد يحتـاجون معه إلى معقـولات وآراء ومقـاييس وقواعد منطقية ومبـاحث عقلية ففي صدره منه أعظم حرج، وأعظم حرجاً منه من اعتقد أن فيه ما ينـاقض العقل الصـريح، ويشـهد العقل بخلافه. وكذلك من زعم أن آياته لا يستفاد منها علم ولا يقين ففي صدره منه من الحرج ما الله به عليم.

قلت : وبهـذا الوجه ينتهي ما أردت تسـطيره في هذا المبحث، وإني لأرجو أن يكون فيه إعلاءٌ من شأن النصـوص الشـرعية ودحر للعقل الطـاغي إلى داخل حدوده الطبيعية.

* نشر " العقلانية " في العـالم الإسلامي هدف من أهداف اليهود !

لماذا ؟

لأن اليهـود يعلمـون كـثرة النصـوص القرآنية والنبوية الفاضـحة لهم ولمخططـاتهم عـبر التـاريخ، الكاشفة لشخصـيتهم المريضة المنحرفـة، المحـذرة للمسلمين منهم، المحقرة لسلوكهم.

فهذه النصوص تعطي المسـلمين شـحناً نفسـياً ضد يهـود وأدائهم المسـتحكم لأمتنـا، وتوضح لهم الطريق الأمثل في التعامل معهم .

وحيث أن هـذه النصـوص هي بين أيـدي المسلمين صباح مساء فلا سـبيل إلى صـرفهم عنها

سوى بإحلال العقلانية بـدلاً منهـا، لأن هـذه العقلانية الـتي لا تحتكم إلى نص مقـدّس يسـهل تعامل يهـود معها في المسـتقبل، حيث لا ثـوابت ولا أصـول. فما كـان حرامـاً اليـوم يكـون حلالاً غـداً بمباركة هـؤلاء العقلانيين!

ومن ذلك: الموقف من يهـود وأسـلوب التعامل معهم، فبعدما كان (النص) الإسـلامي يحشد نفـوس المسلمين لمواجهة (**أشد النـاس عـداوة للـذين آمنــوا**)، سـيأتي العقل (المزعــوم) ويتجــاوز تلكم النصـوص كلها مقـدماً ما يـراه مصـلحة عليهـا؛ من التسامح معهم، ونبذ العداوة والبراءة تجاههم.

إضافة إلى أنهم بواسطة العقلانية يتسـاوون مع البشر الآخـرين الـذي كـانوا يحتقـرونهم ويـزدرونهم لسوء مسلكهم .

يقــول الأســتاذ عبد الســلام بســيوني في بحثه حول العقلانية : ((وإنـني بـالبحث لم يخـامرني دهشٌ ولا عجب حين قرأت أن بذور الدعوة العقلانية بــذور يهودية، يـبرر سـارتر الوجـودي اليهـودي نشـرها في العــالمين (بــأن البشر ما دامــوا يؤمنــون بالــدين فسيظل يقع على اليهود تمييز مجحـف، على اعتبـار أنهم يهـــود، أما إذا زال الـــدين من الأرض وتعامل الناس بعقولهم، فعقل اليهودي كعقل غـير اليهـودي. ولن يقع عليهم التمييز المجحف))[1].

ويقـول سـارتر اليهـودي – أيضـاً - : ((إن اليهـود متهمون بتهم ثلاث كبرى هي : عبادة الذهب، وتعرية الجسم البشـــري، **ونشر العقلانية المضــــادة للإلهام الديني**)) [2].

---

1 (?) العقلانية : هداية أم غواية (ص 10) . وقد سبق في كلام الأستاذ محمد قطب.

2 (?) المصدر السابق (ص 18) .

* عقلانيون يتوبون قبل الموت ! :

رغم فتنة العقلانية الساحرة التي تُخيل للمرء أنه سيستطيع من خلالها الوقوف على كثير من أسرار الخلق والوجود، وأنه من الممكن بواسطتها الاستغناء عن جميع أو كثير مما جاءت به الأديان من العبادات والسلوكيات .

رغم كل هذا، وأن المتابع لهذا السراب الخادع قلّما يعود إلى فطرته ويراجع دينه ويعلم حدود عقله المخلوق، إلا أن الله بحكمته ورحمته يجتبي بين الحين والآخر بعضاً من هؤلاء العقلانيين ويقذف نور الهداية في قلوبهم من جديد بعد أن يكونوا قد أمضوا شوطاً طويلاً في اللهاث خلف سراب العقلانية الذي يكتشفونه بهداية الله لهم أنه (**سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**).

وإليك أخي القـــارئ مواقـــفَ لبعض هـــؤلاء العقلانيين قيدوا فيها خواطرهم عنـدما أراد الله لهم الهداية من جديد بعد رحلة مضنية خلف معقولاتهم .

هذه المواقف سجلها لنا السلف الصالح لنكـون حـذرين لا ننـزلق فيما انـزلق فيه الآخـرون الـذين نـدموا على ما أضـاعوه من سـاعات عمـرهم في تحصيل ما لا حاصل منه ..

فهذا الرازي مع سبقه في باب المعقول، وفرط ذكائه يشكو حيرته وعجزه فيقول :

نهاية إقدام العقـول عقـال	**وغاية سعي العالمين ضـلال**
وأرواحنـا في وحشـة من جسـومنا	**وحاصـل دنيانـا أذى ووبـال**
ولم نستفد من بحثنا طـول عمرنـا	**سـوى أن جمعنـا فيـه قيـل وقـالوا**
فكم قـد رأينـا في رجـال ودولـة	**فبـادوا جميعـاً مسـرعين وزالـوا**
وكم من جبـال قـد علت شـرفاتها	**رجال فزالوا والجبال جبـال**

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات : (**الرحمن على العـرش اسـتوى**) .(**إليه يصـعد الكلم الطيب**) .

وأقـرأ في النفي (**ليس كمثله شـيء**) . (**ولا يحيطون به علماً**)

ثم قال : ((ومن جـرب مثل تجربـتي عـرف مثل معرفتي)) [1] .

---

[1] (?) شرح العقيدة الطحاوية ص 208-209، وانظر : سير أعلام النبلاء 21/501.

وقال الشهرستاني: ((فقد أشار إليَّ من إشـارته غنم، وطاعته حتم، أن أجمع له مشـكلات الأصـول، وأحل له ما انعقد من غوامضها على أربـاب العقـول لحسن ظنه بي أني وقفت على نهاية النظر، وفـزت بغايات مطارح الفكر، ولعله استسـمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم: لعمري :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها **وسَـيَّرت طـرفي بين تلك المعـالم**

فلم أر إلا واضعاً كف حـائر **على ذَقَن أو قارعـاً سن نـادم** [1]

((وقـال الجويـني: لقد خضت البحر الخضم وتـركت أهل الإسـلام وعلـومهم وخضت في الـذي نهـوني عنـه، والآن إن لم يتـداركني ربي برحمته فالويل لي، وها أنذا أموت على عقيدة أميّ !

وقـال الخـونجي : اشـهدوا عليّ أني أمـوت وما عـرفت شـيئاً إلا الممكن يفتقر إلى واجب ثم قـال: والافتقار أمر عدمي، فلم أعرف شيئاً !

وقال آخر: أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام. وقـال آخر وقد نـزلت به نازلة من سـلطانه فاستغاث برب الفلاسفة فلم يغث قال: ثم اسـتغثت برب الجهمية فلم يغثني، ثم اسـتغثت بـرب القدرية فلم يغثـني، ثم اسـتغثت بـرب المعتزلة فلم يغثـني. قال: فاستغثت برب العامة فأغاثني)) [2].

ختاماً: أسأل الله أن يهدي ضال المسـلمين إلى العـودة إلى تحكيم (نصـوص) الكتـاب والسـنة في جميع شـئونه لكي ينعم ويسـعد ويُفلح مع المفلحين الذين قال الله فيهم (**فمن اتبع هـداي فلا يضل**

---

1 (?) نهاية الإقدام في علم الكلام ص 3 .

2 (?) الصواعق المرسلة لابن القيم (1/166) .

ولا يشــقى) قــال ابن عبــاس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : تضمن الله لمن قرأ القـرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[1].

ولا يكونـــوا ممن قـــال ســـبحانه فيهم (**ومن أعــرض عن ذكــري فــإن له معيشة ضــنكاً ونحشــره يــوم القيامة أعمى قــال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قـال كـذلك أتتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى**)

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه/ أبو مصعب : سليمان بن صالح الخراشي
الرياض / ص ب 522
الرمز / 11321

1 (?) تفسير الطبري (8/469) .